الفصل الأول
مؤهلات المعلم المُلقي
﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾

يتألف هذا الفصل من مقدمة وأربعة مباحث:

فالمقدمة لبيان جلية الأمر في ألفاظ القرآن الكريم وأنها ألفاظ رب العزّة ﷻ وكلامه، وليس لجبريل عليه السلام فيها سوى **صفة المُرْسَل المُعلّم**، وليس للنبي ﷺ فيها سوى **صفة المُرْسَل المبلّغ** .

والمبحث الأول يتكلم عن أهمية الحديث عن موضوع جبريل عليه السلام في بعده التاريخي وأهدافه المنهجية .

والمبحث الثاني يفصل صفات جبريل عليه السلام التي صار بموجبها جديراً بتحمل الوحي القرآني، وتعليمه للنبي ﷺ في طبيعته الخَلقية، وسجاياه الخُلقية .

والمبحث الثالث يتحدث عن كون جبريل عليه السلام هو المختار الوحيد من بين الملائكة ليكون أمين وحي الله ﷻ لأهل السماء .

والمبحث الرابع يتحدث عن نتيجة ذلك وهو أن جبريل عليه السلام هو الأمين على وحي الله ﷻ لأهل الأرض، كما يتكلم هذا المبحث عن المقتضى المنهجي لذلك، وهو سد ذريعة القدح في الوحي .

obeikandl.com

مقدمة:

من الموحي بالقرآن ؟ من المتكلم به ؟:

وهي أهم مسالة منهجية يرتكز عليها البحث على الرغم من صغر الحيز المحـــدد لها، ولن تجيب الدراسة على هذا السؤال بل إن الإجابة التي في القرآن الكريم كافيـــة بعد اطراح ما اعترى علماء الكلام من خلل ودخل؛ إذ يقـــول الله تعـــالى: ﴿**كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم**﴾ "الشورى/٣"، وحسبك عظمـــة أن المتكلم بالقرآن هو الله الذي من عظمته﴿**تكاد السماوات يتفطرن من فوقـــهن**﴾ "الشورى/٥"، فليس لأعلى رجل في البشر وهو النبي ﷺ مقدار قطمـــير فيـــه ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ**﴾ "الشـــورى/٥٢"، ويبقى بعد ذلك **تحديد أطر المحافظة على القرآن** بعد وصوله إلى البشر ليبقى متلواً كما تكلم به الله، ومقروءاً كما أنزله الله، بما أنزله الله لفظاً وأداء، لم يطرأ عليه تغيـــير لفظي، و لم يشبه زيف من تطوير لغوي، أو تحريف لهجي إلا في الحدود التي أرادهـــا الله -تعالى ذكره-.

وأول هذه الأطر: أن الذي تولى أمر المحافظة عليه هو الله ﷻ منـــزله كما قـــال تعالى مثبتاً الحفظ ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ "الحجر/٩"، وقـــال ﷻ نافياً طروء أدنى تغيير ﴿**لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾ "الأنعام/١١٥"، فهذا في كلامه من حيـــث هو كلام مقول، وأما فيه من حيث هو كلام مكتوب فقد قال -جل ذكره- إثباتـــاً للحفظ ونفياً لإمكان التغيير:﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ(٤١)لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـــهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ "فصلت/٤١-٤٢".

والحفظ هنا ينصرف انصرافا أوليا إلى حفظ الألفاظ؛ لأنه قد علم أن المعنى غير منضبط إلا بضبط لفظه له، **فحفظ اللفظ مقتض لحفظ المعنى، وحفظ المعنى مستلزم لحفظ اللفظ.**

وإذا كان ذلك كذلك، فما نوع نسبة القرآن في قوله-تعالى ذكره-﴿إنه لقول رسول كريم﴾ "الحاقة/٤٠، التكوير/١٩" **؟** .

لا يشك من له علم في كلام العرب، وتصاريف أنواع خطابه، بل من يعاصر الأقوام في عاداتهم الكلامية أن **النسبة إلى جبريل**عليه السلام **نسبة أداء، لا نسبة إنشاء**، وهو لازم وصفه بالرسالة؛لأنه واسطة فيه، وناقل له عن مُرْسِله، وهو الله – تعالى ذكره -؛إذ إضافة القول إلى الرسول إنما هو لأدنى ملابسة لأن جبريل عليه السلام يبلغ ألفاظ القرآن إلى النبي ﷺ فيحكيها كما أمره الله ﷻ، فهو قائلها أي صادرةٌ منه ألفاظُها، لا أنه منشئ ألفاظِها، لذا قال القرطبي -رحمه الله تعالى- في تفسير سورة التكوير: "**وأضاف الكلام إلى جبريل**عليه السلام **ثم عداه عنه بقوله ﴿تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** "الحاقة/٤٣"؛ **ليعلم أهل التحقيق في التصديق أن الكلام لله** ﷻ"([1])، وبذلك صرح سائر العلماء([2])، فقوله تعالى **﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾** "التكوير/١٩" معناه لقول الرسول أي لقوله المبلغ له عن الله ﷻ، فقرينة ذكر الرسول تدل على انه إنما يبلغ شيئاً أرسل به؛ **فالكلام كلام الله** ﷻ : **ألفاظه، ومعانيه، وجبريل**عليه السلام **مبلغ عن الله، وبهذا الاعتبار نسب القول له([3])**.

([1]) (القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٤٠، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

([2]) انظر: تفسير الجلالين، وبهامشه حاشية الصاوي ٤/٣٨٩، دار الفكر بيروت١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، قدم له وأشرف على تصحيحه: صدقي محمد جميل، والتحرير والتنوير ٣٠/١٥٥، مرجع سابق، وروح المعاني٣٠/١٠٤ .

([3]) (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧ /٧٠٣، عالم الكتب - بيروت، فالقول الذي ينزل به على قلب النبي ﷺليس قوله من حيث الحقيقة كما تقدم، بل يأخذ فيه صفة الرسالة،

فنسبة كلام الله -تعالى ذكره- لجبريل عليه السلام نسبة أداء (أي تبليغ الرسول ما أمره الله ﷻ بتبليغه) لا نسبة إنشاء.

وكذلك يقال في آية الحاقة بالنسبة للرسول ﷺ، **فالنطق نطق القارئ، والكلام كلام الباري**، كما يُقال هذا قرآن ابن مسعود رضي الله عنه، أو قرآن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو قراءة فلان...**عنوا به أنه خارج بصوته لا أنه كلامه** .

قال في التحرير والتنوير ٣٠/١٥٥، مرجع سابق: " وفي التعبير عن جبريل بوصف رسول إيماء إلى أن القول الذي يبلغه هو رسالة من الله مأمور بإبلاغها كما هي " .

المبحث الأول:

أهمية موضوع تعليم جبريل عليه السلام:

يتحدث هذا المبحث عن أهمية موضوع تعليم جبريل عليه السلام النبي ﷺ في إطاره التاريخي، وتعلق ذلك بألفاظ القرآن الكريم، وما تحققه دراسة هذا الموضوع من أهداف؛ ذاك بأن هذا الموضوع هو الوجه الآخر لموضوع تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام.

ويتألف هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: البُعد التاريخي والموضوعي للاهتمام بهذا الموضوع .

المطلب الثاني: أهداف دراسة هذا الموضوع .

المطلب الأول: البُعد التاريخي والموضوعي للاهتمام بهذا الموضوع:

إذا كان جبريل عليه السلام هو الذي بلغ رسول الله ﷺ القرآن الكريم، وعلمه إياه فإن جبريل عليه السلام قد جُعل بأمر الله شيخاً للنبي ﷺ، ومعلماً له بصريح قوله ﷻ **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾** "النجم/ ٥"، فقد بات حتماً على متتبعي علوم القرآن الكريم أن يتتبعوا تفصيلاً كيفية تعليم جبريل عليه السلام القرآن الكريم؛ إذ يأخذ حيز الأهمية الأولى في دراسة العلوم الإسلامية الشرعية، ومن هاهنا اهتم العلماء بهذا الموضوع اهتماماً بالغاً، فإن كان الأمر كذلك؛ فليس الباحث بدعاً في اهتمامه بذا الموضوع، بل كان هذا الموضوع كما لم يزل على رأس قائمة المفردات العلمية والشرعية التي يمارس درايتها أولوا النهى من المسلمين فضلاً عن أرباب الحجى من العلماء.

obeikandl.com

وأول من أثاره: الصحابة تعبدًا وازدياداً في طمأنينة قلب، فقد روت عائشة-رضي الله تعالى عنها- أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله، فقال: يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي؟ ...الحديث([1]).

قال **السندي**-رحمه الله تعالى-:"ظاهره أن السؤال عن كيفية الوحي نفسه، لا عن كيفية الملك الحامل له، ويدل عليه أول الجواب، لكن آخر الجواب يميل إلى أن المقصود بيان كيفية الملك الحامل، فيقال يلزم من كون الملك في صورة الإنسان كون الوحي في صورة مفهوم مُتَبَيَّن أول الوهلة، فبالنظر إلى هذا اللازم صار بياناً لكيفية الوحي، فلذلك قوبل بصلصلة الجرس، ويحتمل أن المراد للسؤال عن كيفية الحامل أي كيف يأتيك حامل الوحي"([2]).

و لم تنقله عائشة-رضي الله تعالى عنها-ثم من بعدها إلا لجلالته عندهم، فليست المسألة فضول قول، ونافلة كلم .

وقد قال **الواقدي** -فيما حكاه عنه ابن سعد-: "حج أمير المؤمنين هارون الرشيد فورد المدينة فقال ليحيى بن خالد: ارتد لي رجلاً عارفاً بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ومن أي وجه كان يأتيه ..."([3]).

وجعل **ابن حبان** -رحمه الله تعالى-مسألة بدء الوحي وكيفية تلقيه أول أنواع يحتاج إلى معرفتها من أخبار النبي ﷺ، حيث قال: "وأما أخبار النبي ﷺ عما احتيج إلى معرفتها،

([1]) يأتي بتمامه -إن شاء الله تعالى- في الفصل الثاني- المبحث الثالث .

([2]) (السندي) أبو الحسن نور الدين عبد الهادي ت ١١٣٨هـ: حاشية السندي ٢/١٥٠، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب .

([3]) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (١٦٨هـ - ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت .

فقد تأملت جوامع فصولها، وأنواع ورودها، لأسهل إدراكها على من رام حفظها، فرأيتها تدور على ثمانين نوعا: النوع الأول: إخباره ﷺ عن بدء الوحي وكيفيته..."([1]) .

بل هو رأس المفردات الأصولية، ويظهر هذا في صنيع الإمام البخاري –رحمه الله تعالى– في صحيحه؛ إذ جعل كتاب بدء الوحي أول كتب الصحيح، وإنما فعله دليلا على المنهج العلمي المسلوك عند المسلمين في عد العلوم النافعة، مما يطمئن إلى صواب هذا الفقه في أهمية موضوع جبريل عليه السلام. **وفي وصف ابن عباس رضي الله عنهما لقراءة النبي ﷺ إثر تعليم جبريل عليه السلام له بأنه (قرأه –أي القرآن– كما قرأه) داع للعلماء عموما**، وللمتخصصين في علوم القرآن خصوصا ليتعرفوا على كنه تعليم جبريل عليه السلام للنبي ﷺ القرآن من حيث لفظه؛إذ يتوقف عليه معرفة هيئة نقل أصل الأصول الإسلامية.

وما للتعليل لأهمية هذا المبحث يذهب هذا المذهب في الاستدلال على أمر وضوحه جلي كالشمس، وقد كان كافيا ما يظهر من كثرة الآيات التي تتحدث عن جبريل عليه السلام وتعليمه للنبي ﷺ ألفاظ القرآن دليلا على صحة هذا المرام ؟ .

المطلب الثاني: أهداف دراسة هذا الموضوع:

تحقق دراسة تعليم جبريل عليه السلام النبي ﷺ ألفاظ القرآن الأهداف التالية:

١– **غرس الاهتمام بالأصول الكلية في هذه الشريعة المطهرة**؛ إذ عنها تنبثق بقية جزئياتها، ولذا تكرر موضوع تعليم جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن في القرآن، حتى ذكر إنزال القرآن على قلب الرسول ﷺ مرتين، وهي جزئية صغيرة من جزئيات هذا

([1]) (ابن حبان) محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ت٣٥٤هـ: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٣١/١، مراجعة: شعيب الأرناؤوط، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت .

obeikandl.com

الموضوع، مع أن الوضوء بجميع متعلقاته من حيث هو وضوء لأهم ركن عملي في الإسلام لم يذكر في القرآن إلا مرة واحدة .

٢- **بيان الطريقة المنهجية التي علم بها جبريل** عليه السلام، وتعلم بها النبي ﷺ ألفاظ القرآن، وتأصيلها، ثم اتخاذها منهجا في تعلم ألفاظ القرآن، ما دامت في حدود الطاقة البشرية الفردية، وتوزيعها على الأمة إن استدعى صبغها بالجماعية .

٣- **الاستشعار النفسي لما اعترى عملية نقل الكلام الإلهي** القرآني من السماء إلى الأرض من مثبتات للحفظ، ومؤيدات لمنع شوائب الدخل، وهذا يكون مقدمة لرفع الإجلال الذاتي المصبوغ بالصبغة العقائدية في نفس المسلم لكلام الله ﷻ .

٤- **أن تحاول الأمة بمجموعها جعل جهودها لحفظ كتاب الله أداة من الأدوات الواقعية لحقيقة الحفظ الإلهية تقارب ما بذله طرفا الاتصال السماوي والأرضي لأجل ذلك، وكما رعى الله -تعالى ذكره- طرفي الاتصال في هذا السبيل سيرعى الله ﷻ الأمة في السبيل ذاته...وقد فعل** ﷻ .

obeikandl.com

المبحث الثاني:

صفات جبريل عليه السلام:

سيقتصر الباحث هاهنا على الصفات التي ترتبط بموضوع البحث، وهي الصفات التي حبا الله بها جبريل عليه السلام ليقوم بهذه المهمة الجليلة، وهي ما أعده الله عز وجل فيه من السجايا الخَلْقِية والخُلُقية من حيث أنه الرسول الذي يحمل الوحي، ويعلمه للرسول الذي يعلمه لأهل الأرض، وكلامنا عن هذه الصفات مقتصرٌ عليها من حيث أن جبريل عليه السلام هو الناقل للقرآن من السماء إلى الأرض، وينقسم هذا المبحث إلى مطلبين من حيث عودة هذه الصفات إلى الطبيعة الخَلقية، أو إلى السجايا الخُلُقية، وقد يتداخلان:

المطلب الأول: صفاته من حيث طبيعته الخَلْقية:

١-**عظمة الخلقة:** فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: يا محمد كيف يأتيك الذي يأتيك ؟ يعني جبريل عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ، وباطن قدميه أخضر)([1])، ويؤيده: ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح ينثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت)([2]).وتهاويل الدر والياقوت قال **ابن الأثير** -رحمه الله تعالى- في تفسيرها: "أي الأشياء المختلفة الألوَان، ومنه يقال لما يخرج في الرِّياض من ألْوان الزَّهر التَهَاويل، وكذلك لما يُعَلَّق على الهَوادِج من ألوان العِهْنِ والزِّينة، وكأن واحِدُها تَهوال، وأصلها مما يهول الإنسان ويُحيّره"([3]).

([1]) (ابن أبي عاصم) أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ت٢٨٧هـ: الآحاد والمثاني ٤٥٦/٣، مراجعة: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ١٤١١هـ -١٩٩١م، دار الراية الرياض.

([2]) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٣٣٧/١٤، مرجع سابق، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: " إسناده حسن " .

([3]) (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم أبو السعادات الجزري ت٦٠٦هـ: النهاية في غريب الأثر ٢٨٢/٥، النهاية في غريب الأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطباحي، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر -بيروت.

ولجبريل عليه السلام القدرة على التشكل إلى أجسام أخرى، ولكنه كان أكثر ما كان يأتيه في صورة الصحابي الجليل (دِحْية الكلبي)...فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (عرض علي الأنبياء ... ورأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت شبهاً دحية بن خليفة)(١)، **وإنما جُعِلت هذه الصفة أول الصفات لارتباطها بالقدرة التي أودعها الله في جبريل عليه السلام ليأتي النبي ﷺ فيعلمه القرآن بإطلاق الزمان والمكان، وعلى أي هيئة كان**، وتأتي أمثلة على ذلك -إن شاء الله تعالى-(٢).

وهل كان النبي ﷺ يرى جبريل عليه السلام في خلقته الأصلية دائماً ؟.

الجواب: لم يره كذلك إلا مرتين فقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- مرفوعاً: (لم أره يعني جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها إلا مرتين)(٣)، وبين أحمد في حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خُلِق عليها، والثانية عند المعراج(٤).

والأمر لا يستدعي البحث بدقة في عدد المرات التي رأى النبي ﷺ فيها جبريل عليه السلام؛ إذ المراد بيان أن رؤيته لجبريل عليه السلام مرة **تحقق جملة أمور من حيث نقل القرآن:**

---

(١) صحيح مسلم ١٥٣/١، مرجع سابق، وراجع: (الدينوري) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت٢٧٦ هـ: تأويل مختلف الحديث، مراجعة: محمد زهري النجار، ١٩٧٢م - ١٣٩٣هـ، دار الجيل -بيروت، ففيه ردٌ على من استنكر وجود خلق له قدرة على التشكل، وقد أُتِيَ هذا المستنكِر مِنْ كِبْرٍ في نفسه ما هو ببالغه، وأول كلام ابن قتيبة -رحمه الله تعالى-: "ولم يأت أهل التكذيب بهذا وأشباهه، إلا لردهم الغائب عنهم إلى الحاضر عندهم، وحملهم الأشياء على ما يعرفون من أنفسهم، ومن الحيوان، والموات، واستعمالهم حكم ذوي الجثث في الروحانيين..." .

(٢) انظر: الفصل الثاني- المبحث الثاني.

(٣) مسلم ١٥٣/١، مرجع سابق .

(٤) (ابن حنبل) أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ت٢٤١ هـ: مسند الإمام أحمد ١٢٠/٣ ـ مؤسسة قرطبة- مصر . وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة -رضي الله تعالى عنها -: (لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد) .

منها: إيقاع الطمأنينة في قلب النبي ﷺ برؤيته لعظيم قدرة الله ﷻ تتجلى في جبريل عليه السلام من جهة، **ومن جهة أخرى لطمأنته، وتثبيت قلبه** على قدرة جبريل عليه السلام على نقل القرآن، وتبليغ رسالة ربه دون توانٍ، وزادت هذه الطمأنينة تأكيداً برؤيته له مرة أخرى .

ومنها: دفع توهم أن الذي يأتيه شيطان لا من قلبه فقط، بل من قلب غيره .

٢- **أنه ملَك:** والمَلَك واحد الملائكةُ، وهو في الأصل جمع مَلأَكٍ ثم حُذفَتْ همزتُه لكثرة الاستعمال فقيل مَلَكٌ، وقد تحذفُ الهاء فيقال مَلائِك، وقيل أصلُه مَأْلَكٌ بتقديم الهمزة من الأُلوك الرسالة، ثم قدِّمَت الهمزة وجُمع(١)، فالرسالة طبيعة ذاتية ملازمة لكون الملك ملكاً، وهذه الرسالة هي ما يصدر إلى الملائكة من أوامر فيؤدونها أدق أداء، وأتمه؛ لأن الرسالة طبيعة ذاتية فيهم، وليس يخفى أن هذه هي أولى وسائل اليقين في نقل القرآن، إذ كون الرسالة طبيعة ذاتية في الملائكة يستلزم: **الأمانة في نقلها، وإتقان النقل**، ويعضد هذا أنهم المختارون ليكونوا وسائط بين الله ﷻ وخلقه، ولذا فقوله تعالى ﴿**لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ "الأنبياء/٢٧" إيضاحٌ لحال الملائكة، وليس بتأسيس لصفة جديدة بعد نعتهم بالملائكية، واقتضى هذا الإيضاحَ دحضُ تخرصات الشرك وأهله في طبيعة الملائكة .

٣- **الروح:** وقد وردت هذه اللفظة على خمس معانٍ في القرآن الكريم(٢)، ولا خلاف بين المفسرين وغيرهم في أن المراد بها في قوله تعالى ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾ "الشعراء/١٩٣" هو جبريل عليه السلام(١)، ويسمى جبريل عليه السلام روح القدس لأنه خُلِق من طَهارة(٢).

---

(١) النهاية في غريب الأثر ٤/٣٥٨، مرجع سابق، وفيه: "وفي حديث جرير: عليه مَسْحَةُ مَلَكٍ، أي أثَرٌ من الجمال لأنهم أبداً يصِفُون الملائكَةَ بالجَمالِ". وهذه صفة خَلْقية أخرى إلا أنه لا يتعلق بها كبير أمر هنا .

(٢) (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدمشقي، الروح لابن القيم ص٢٠٦ - عالم الكتب بيروت، وذكر ابن حجر -رحمه الله تعالى- نقلاً عن ابن التين في معنى لفظ الروح حيث ورد في القرآن الكريم تسعة معان، وأما حقيقتها فقد ذكر أنهم اختلفوا فيها على أكثر من مائة قول، وذا تكلف جلي فيما لا طائل من تحته .

وهذه الصفة الجليلة لجبريل عليه السلام ورد مدحه بها في معرض التأكيد على سلامة نقل القرآن، وبيان خصائص لفظه من سورة الشعراء، **وذلك دالٌ على مبلغها من جلالة القدر في نقل القرآن من السماء إلى الأرض**، ولعل من أسرارها في هذا الباب أن الروح فيه معنى الحياة والحركة، ويومئ ذلك إلى أن تلقي جبريل عليه السلام للقرآن من الله سبحانه وتعالى تلقٍ حي لا يعروه شائبة كسل، أو موات؛ إذ كون الناقل مخلوقاً واحداً وهو جبريل عليه السلام مدعاة لأن يشكك في نقله أقوام اعتادوا الجدل وألفوه .

ويزيد هذا المعنى إيضاحاً أن لفظة (روح) لا ترد في القرآن الكريم إلا للأمور التي استأثر الله عز وجل بها بأحد أنواع الاستئثار علماً (كروح الإنسان)، أو قولاً (كالقرآن)... ولذا ذكر الله سبحانه وتعالى خلق آدم، وعَظَّم خلقه عندما بين أنه نفخ فيه من روحه﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾ "ص/٧٢" وهي المنقبة التي يذكرها له الناس يوم القيامة في حديث الشفاعة الكبرى...**وهذا يثبت ما ذُكِرَ من علاقة سلامة نقل القرآن من السماء إلى الأرض، ودقة نقله كما قاله الله** عز وجل، بوصف جبريل عليه السلام بالروح .

كما أن من أهم مقتضيات كونه روحاً: إمكانية الاتصال المطلق، مع خفاء ذلك على من حوله، وذاك يمكنه من المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يشعر به أحد، وذلك لأن الروح تطلق على ما خفي([٣]) .

٤- السرعة والفورية في النزول بالوحي القرآني: حتى لو كان جبريل عليه السلام نازلاً بهيئته الشديدة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند الاقتضاء إنشاء أو استدراكاً، وهذه

([١]) وعند (ابن سعد) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزُهري (١٦٨- ٢٣٠): الطبقات الكبرى ١/١٩٤، دار صادر -بيروت: عن قتادة في قوله تعالى ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ "البقرة/٨٧" قال: "هو جبريل".

([٢]) النهاية في غريب الأثر ٤/٢٣، مرجع سابق .

([٣]) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني .

الصفة إحدى التطبيقات للصفات الأخرى كالقوة، والأمانة، **وليُذكر ها هنا نموذجان عن هذه السرعة من حيث البلاغ العام، والبلاغ القرآني:**

فنموذج البلاغ العام: ما قاله صهيب رضي الله عنه :(يا رسول الله! ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل)([1]). وهذا في الأحداث الواقعية، فكيف يكون الشأن في أمر يتعلق بالوحي القرآني الإلهي، وقد اتُخِذَت له كل الوسائل الإلهية المحضة، والبشرية المُعانة إعانة إلهية ليقرأه كما أنزله الله **وهو البلاغ الخاص ؟، ونموذج ذلك:** ما رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه **﴿...لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾** "النساء/٩٥" –قال–: فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها عليّ، فقال: يا رسول الله! لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن تُرَض فخذي، ثم سُرِّي عنه...فأنزل الله ﷻ **﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾**([2]).

([1]) المستدرك على الصحيحين٣/٤٥٢، مرجع سابق، عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ : (أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرة، فإما أن تكون هجراً، أو تكون يثرب) .قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر رضي الله عنه، وكنت قد هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكياً. فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريداً ليردوني، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلون سبيلي وتفون لي؟. فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواق واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قبل أن يتحول منها –يعني قباء– فلما رآني قال: (يا أبا يحيى ربح البيع) ثلاثاً. فقلت: يا رسول الله! ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام . وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .

([2]) صحيح البخاري ٣/١٠٤٢، مرجع سابق .

٥- **القوة:** كما قال تعالى ﴿**ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**﴾ "النجم/٦" أي هو صاحب جسمٍ "في قوة وقدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به، والطاقة لحمله في غير آية النشاط والحدة، كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة(١)، فهو صعب المراس، ماضٍ في مرارته، على طريقة واحدة على غاية من الشدة لا توصف"(٢).

ويأتي تفصيلها في المطلب الثاني -إن شاء الله تعالى- .

على أنه ينبغي التنبيه من خلال الاستعراض لمظاهر قوة جبريل عليه السلام الخلقية أن هذه الخلقة العظيمة التي هيأه الله -تعالى ذكره- بها تحمل في طياتها تهيئته بحمل الأجهزة التكوينية المناسبة لحفظ كلام الجبار ﷻ عند استماعه، ثم نقله له كما هو إلى النبي ﷺ بالسرعة المطلوبة في الوقت المعين ...ولذا كان جبريل عليه السلام أول من يقوم من الصعق عندما يتكلم الله ﷻ بالوحي -كما سيأتي إن شاء الله تعالى-(٣).

المطلب الثاني: صفاته عليه السلام من حيث سجاياه الخُلُقية:

١) **كريم:** كما في قوله ﷻ ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ "التكوير/١٩"، وهي صفة تقتضي نفي المذام كلها، وإثبات صفات المدح اللائقة به(٤)، وفي تفسيرها يقول الآلوسي -رحمه الله تعالى-: "عزيز على الله سبحانه وتعالى"(٥)، وقال ابن كثير -رحمه الله

---

(١) المراد الجد والقوة، وليس الغضب .

(٢) انظر: (البقاعي) برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩/٤٤، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ط٣، المكتبة التجارية، مكة المكرمة .

(٣) انظر: المبحث الثالث من هذا الفصل .

(٤) البحر المحيط ٨/٤٣٤، مرجع سابق .

(٥) روح المعاني ٣٠/١٠٤، مرجع سابق .

تعالى-: "ملك حسن الخلق بهي المنظر"([1])، وفي التحرير والتنوير في معنى كريم أنه: "النفيس في نوعه"([2]) .

فقد جمعت له كلمة "كريم" كل المحامد، كما أظهرت تميزه بخصائص لا توجد لسواه من الملائكة، فهو نفيس بين الملائكة .

٢) **ذو قوة:**"أي شديد، وقيل: المراد القوة في أداء طاعة الله ﷻ، وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف، وقيل: لا يبعد أن يكون المراد قوة الحفظ، والبعد عن النسيان، والخلط"([3]) .

ولا يستبعد شمول وصف﴿**ذِي قُوَّةٍ**﴾ "التكوير/٢٠" لذلك كله؛ إذ يقتضي ذلك إطلاقُها، وعدم تقييد النكرة ﴿**قُوَّةٍ**﴾ بشيء! بل ذلك هو الأظهر، **ويُستظْهَرُ هذا المعنى حتى يصير في حيز الحقيقة المقررة:** بمجيء كلمة (قوة) مجموعة في قوله ﷻ ﴿**...شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ "النجم/٥"، ومن حيث خصوص مناط البحث فإنه يظهر من خلال هذا الوصف قوته في أداء هذه الأمانة الشاملة لكل أنواع القوة .

والمراد الكلي من هذا الوصف: قدرته على أداء مهمته التعليمية، فـ﴿**ذِي قُوَّةٍ**﴾ يعني أن جبريل عليه السلام ما كُلِّف به من أمر غير عاجز([4]) .

ويدخل في هذه القوة دخولاً أولياً:

أ- **قوة الحفظ .**

ب- **وقوة الوصول إلى الرسول من البشر .**

([1]) ابن كثير٤/٤٠٩، مرجع سابق .

([2]) انظر: التحرير والتنوير ٣٠/١٥٣، مرجع سابق .

([3]) روح المعاني ٣٠/١٠٤، مرجع سابق .

([4]) انظر: تفسير الطبري ٣٠/٨٠، مرجع سابق .

ج- **وتلطف المجيء**، له بما يحتاج من خصال يحتاجها الملك، ليعوض بها ضعف البشر عن إدراك الملأ الغيبي؛ لذا قال الشوكاني: "ذي قوة شديدة في القيام بما كلف به"([1]).

د- **وقوة البدن المتعددة المناحي** لازمة للتنقل بين هذه المسافات الهائلة في وقته الذي أمر بالتبليغ فيه بشكل دقيق، قال الصاوي -رحمه الله تعالى- ذاكراً بعض قوته: "فكان من قوته: أن اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود([2])، وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء، ثم قلبها، وأنه صاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين، **وأنه يهبط من السماء إلى الأرض، ثم يصعد في أسرع من رد الطرف**"([3]).

وهذا الأخير الذي ذكره الصاوي هو المراد، وما قبله خادم للإيراد، وتناقل المفسرون هذا المعنى في أداء الرسالة التي كلف بها جبريل عليه السلام على أتم وجه وأتقنه، بل جعل ذلك الإتقان هو طبيعة جبريل عليه السلام، فقوله ﴿ **كَرِيمٍ** ﴾ يحتمل أن تكون الصفة المشبهة تدل على الطبيعة والسجية الذاتية لا المتكلفة([4])، "**فالقوة حقيقتها مقدرة الذات على الأعمال العظيمة التي لا يقدر عليها غالباً**، وتطلق مجازاً على ثبات النفس على مرادها، والإقدام على رباطة الجأش قال ﷻ ﴿**يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾ "مريم/١٢" ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾ "البقرة/٦٣"، فوصف جبريل عليه السلام بـ ﴿**ذِي**﴾ قوة يجوز أن يكون شدة المقدرة، كما وصف بذلك في قوله ﴿**ذُو مِرَّةٍ**﴾، ويجوز أن يكون من القوة المجازية، وهي الثبات في أداء ما أرسل به، كما قال ﷻ ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ "النجم/٥"؛ لأن

([1]) فتح القدير ٤٨١/٥، مرجع سابق .

([2]) لعله يعني البحر الميت؛ إذ هو موضعهم ...أو النفط الأسود؛ إذ أن موضعه غائر في الأرض أكثر من الماء...فعبر بموضعه دلالة على احتثاث القرى من أصلها في الأرض .

([3])حاشية الصاوي ٣٨٩/٤، مرجع سابق .

([4]) كما في فقيه من فقُه بضم القاف .

المناسب للتعليم هو قوة النفس، ولذا وصف في النجم بـ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾، والمراد بـ﴿الْقُوَى﴾ استطاعته تنفيذ ما أمر الله ﷻ به من الأعمال العظيمة القلبية والجسمانية، فهو الملك الذي ينزل على الرسل بالتبليغ، وقوته شملت قوة العقل، إضافة إلى قوة الجسم وقوة أداء المهمة، وإتقانها؛ولذا وصف بقوله﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾، والمرة تطلق على الذات، وتطلق على متانة العقل، وأصالته، وهو المراد هنا، واتفق المفسرون على أن المراد جبريل عليه السلام"([1]) .

فإذا جُمِعَ هذا مع ما قرره أبو حيان -رحمه الله تعالى- في معنى صفة﴿كَرِيمٍ﴾ وهو أنها صفة تقتضي نفي المذام؛ اتضحت إصرارية تثبيت قوة الحفظ وشدة الملكة التي بها يبلغ وحي ربه، وتعليمه رسول الله ﷺ القرآن الكريم تفصيلاً لكل حرف، وتبياناً لكل كلمة، من غير أن يقال أن ذلك مبالغ فيه، أو أنه ليس في مقدرة جبريل عليه السلام من حيث الحركة، أو من حيث الحفظ.

٣) ﴿ مُطَاعٍ ﴾ "التكوير/٢١": فهو مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن أمره، وهو مؤكد لحقيقة ائتمارهم بأمره، ومن أسباب ذلك أنه أمين الوحي في السماء لأهل السماء -ويرد تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى-([2]) ...، **ومن صور طاعة الملائكة لجبريل** عليه السلام طاعة خازن السماء له، كما في حديث الإسراء([3])، وذلك كله مؤثر في الشعور بمقدرة هذا المعلم .

([1]) التحرير والتنوير ٣٠/١٥٥، مرجع سابق، وانظر: البحر المحيط ٨/١٥٤، مرجع سابق، وقد ذكر فيه عن الحسن أن "شديد القوى" هو الله، واستبعده، وكذا تفسير الشوكاني٥/١٣٠، مرجع سابق، وأورد ابن كثير ٤/٢١٠ قولاً لابن عباس وقتادة: "منظرحسن"، ثم قال: "ولا منافاة بين القولين" .

([2]) في المبحث الثالث من هذا الفصل .

([3]) ففيه: قال النبي ﷺ : فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل عليه السلام لخازن السماء: افتح . قال: من هذا ؟ قال: هذا جبريل عليه السلام قال: هل معك أحد ؟ قال: نعم ! معي محمد ﷺ فقال: أرسل إليه ؟. قال: نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا ...) الحديث ...صحيح البخاري ١/٣٠٠، مرجع سابق .

٤) ﴿أَمِينٍ﴾ "التكوير/٢١": فهو أمين الأمانة التي تقتضي القيام **بالتبليغ الذي يصل إلى درجة من الدقة حتى في هيئات الألفاظ الداخلية والخارجية**، وقد اتخذت هذه الأمانة طابعين:

أ- طابع العموم في كل ما أؤتمن عليه: قال الطبري: "أمين عند الله على وحيه، ورسالته، وغير ذلك مما ائتمنه عليه"([1]) .

ب- طابع الدقة والتفصيل: إذ يتسع أُفق فهمها ليشمل هيئات الألفاظ الداخلية فذلك مقتضى الإطلاق في وصفه بالأمانة هنا .

وأمانته من حيث الأصالة تتسم بسمتين:

فهي ملكةٌ دائمةٌ ثابتةٌ، وسجيةٌ متجددةٌ: **إذ الأمين هو الذي يحفظ ما عُهِدَ له به حتى يؤديه دون نقص، ولا تغيير .**

وأمين (فعيل) إما بمعنى مفعول: أي مأمون من أمنته على كذا، وإما صفة مشبهة من أَمُن بضم الميم، إذا صارت الأمانة سجيته([2]).

وسر الإتيان بقوله تعالى ﴿ثَمَّ﴾ بين هاتين الصفتين (مطاع، أمين) في قوله ﷻ **﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾:** أن ﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان للبعيد، والمراد أنه موصوف بذلك في السماء، **وهو يوحي بلزوم اكتفائكم بهذه الأوصاف المطمئنة القاذفة لليقين بسلامة الرسالة، ودقتها، وأنها كما أرادها الله ﷻ، وكما قالها** فهي قرآن لم تطرأ عليها بارقة تغيير من أحد من المخلوقين؛ إذ الكلام عن غيب ما أدراكم به أنتم؟ فلتسمعوا وصفه من مرسله، وخالقه، وحسبكم أنه بهذه المكانة في ذلك المكان الأعلى، ولو شاء الله ﷻ ما تلا عليكم ما أُمر بتبليغه، ولذا قال الآلوسي: "والمقام يقتضي تعظيم الأمانة؛ لأن دفع كون القرآن

([1]) تفسير الطبري ٣٠/٨٠، مرجع سابق .

([2]) التحرير والتنوير ٣٠/١٥٧، مرجع سابق، وكذا روح المعاني ٣٠/١٠٤، مرجع سابق .

افتراء منوط بأمانة الرسول"([1])...كيف وقد قال ﷻ: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا...**﴾ "الحاقة/٤٤"؟، وقرئ ثُم (بالضم) تعظيماً لوصف الأمانة، وتفضيلاً على سائر الأوصاف([2])، فالعطف بها للتراخي في الرتبة؛ لأن ما بعدها أعظم مما قبلها([3])، وقال الزمخشري:"وقرئ ثُم تعظيماً للأمانة وبياناً؛ لأنها أفضل صفاته المعدودة"([4]).

ولهذه الأمانة مقتضاها العملي الهام في جهتين:

-جهة في ذاته: بأن يكون في أعلى درجات الخشية لله تعالى، والمراقبة له: وهذه وإن كانت سجية دائمة ملازمة للملك من حيث هو ملك، إلا أنها في جبريل عليه السلام ظاهرة التميز، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل عليه السلام كالحلس البالي من خشية الله تعالى)([5]).

-جهة في غيره: وهو أن يكون جبريل عليه السلام إذ اتصف بها: مقبول القول، يصدق فيما يقول، مؤتمن على ما يرسل به من وحي، وامتثال أمر، **مؤدياً لما أؤتمن عليه أحسن الأداء، وأدقه فدخل في ذلك أن يؤدي لفظ القرآن أحسن أداء، وأتقنه** ...بل أن ينقله على أقوم هيئة أُمر بها...**فأعظم ما أؤتمن عليه تأدية ألفاظ القرآن** .

([1]) روح المعاني ١٠٥/٣٠، مرجع سابق .

([2]) انظر: تفسير أبي السعود ٤٨٩/٥، مرجع سابق، والقراءة المذكورة قراءة شاذة .

([3])انظر: فتح القدير ٥ /٤٨١، مرجع سابق .

([4]) الكشاف ١٩١/٤، مرجع سابق .

([5]) رواه الطبراني في الأوسط ١٣٤/٢، (الطبراني)مسند الدنيا أبوالقاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت٣٦٠:المعجم الأوسط، مراجعة: محمود الطحان، ١٤٠٥-١٩٨٥، مكتبة المعارف -الرياض، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٨٦٤، انظر: (الألباني) محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، ط٣ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي - بيروت .

٥) **﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** "التكوير/٢٠": أي هو ذو مكانة رفيعة عند الله العظيم جل جلاله، فـ**﴿مَكِينٍ﴾** (فعيل) من مكن إذا علت رتبته عند غيره، يعني هو ليس من أفناد الملائكة، بل هو من السادة الأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة، **وعدل عن اسم الجلالة** إلى (ذي العرش) بالنسبة لجبريل عليه السلام لتمثيل حال جبريل عليه السلام ومكانته عند الله ﷻ بحالة الأمير الماضي في تنفيذ أمر الملك، وهو بمحل الكرامة لديه([1]).

ومما يُتَفَطَّن للتأمل فيه في قوله ﷻ في وصف جبريل عليه السلام: **﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** "التكوير/٢٠": تَوَسُّطُ **﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾** بين **﴿ذِي قُوَّةٍ﴾** و**﴿مَكِينٍ﴾**، **وسر ذلك:** ليتنازعه كلا الوصفين على وجه الإيجاز، أي هو ذو قوة عند الله ﷻ، أي جعل الله ﷻ مقدرة جبريل عليه السلام تخوله أن يقوم بعظيم ما يوكله الله ﷻ به مما يحتاج إلى قوة القدرة، وقوة التدبير، وهو ذو مكانة عند الله وزلفى .

٦) **اقتصار مهمته في المحتوى العام على أنه رسول:** فليس له من أمر مضمون الرسالة شيء، بل هو مبلغ له، كما أمر قال القرطبي: "إنه لقول رسول عن الله، كريم على الله"([2]) .

أفيحل لقائل أن يقول: يمكن أن يجتهد البشر في قول الله ﷻ، وقد منع منه جبريل عليه السلام**؟!**.

٧) **تمرسه على الرسالة التي تماثل هذا النوع:** إذ يظهر من وصفه بقوله: **﴿رَسُولٍ﴾** هذا التمرس على الرسالة، وذلك بدلاً من أن يقول لقول ملك كريم، ويتأكد هذا بأنه هو الذي كان ينزل على الأنبياء، كما قال ورقة بن نوفل: "هذا

([1]) التحرير والتنوير ٣٠/ ١٥٦، مرجع سابق .

([2])تفسير القرطبي١٩/٢٤٠، مرجع سابق .

الناموس الذي أنزل على موسى"([1])، وكما قال تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ "مريم/١٧"، ولا خلاف أنه جبريل عليه السلام هنا، ولذا جاء في تفسير التحرير والتنوير عند الكلام على سورة النجم: "وتخصيص جبريل عليه السلام بهذا الوصف يشعر بأنه المَلَك الذي ينزل بفيوضات الحكمة على الرسل والأنبياء، ولذلك لما ناول الملك رسول الله ليلة الإسراء كأس لبن وكأس خمر، فاختار اللبن قال له جبريل عليه السلام : (أخذت الفطرة ولو أخذت الخمر غوت أمتك)"([2]) .

فإن اعترض معترض بالقول: قد وُصِفَ بهذا الوصف النبي ﷺ في سورة الحاقة وبالصيغة ذاتها، ولّما يكن متمرساً على الرسالة -بعد-، فلا يستقيم هذا الاستنباط .

فالجواب: لا نسلم أنه لم يكن متمرساً، إذ ما غشيه من تهيئة لتبليغ الرسالة، قائم مقام ذلك، وسيأتي من هذه التهيئة ما يجلي ذا المعنى([3]).

ويقال تنزلاً: هناك فرق بين جبريل عليه السلام والنبي ﷺ من حيث قيام القرينة الحالية في كلٍ على هذا التمرس أو عدمه .

ومن أجل هذا التمرس يعهد لجبريل عليه السلام بالمهمات الجليلة، ومنها -بعد الوحي- نقل النبي ﷺ في عالم السماء ليلة الإسراء: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل

([1]) صحيح البخاري ١/٤، مرجع سابق .

([2]) التحرير والتنوير٢٦/٩٥، مرجع سابق، والحديث المذكور أخرجه الشيخان: البخاري ٦/٣٠٨، مرجع سابق، ومسلم ١/١٢٥، مرجع سابق .

([3]) انظر: الفصل الثاني –المبحث الأول .

عليه السلام لخازن السماء: افتح . قال: من هذا ؟ قال: هذا جبريل عليه السلام قال: هل معك أحد ؟ قال: نعم! معي محمد ﷺ فقال: أرسل إليه ؟ . قال: نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا ...) الحديث([1]) .

٨) **حكيم عليم:** كما قال ﷻ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ "النمل /٦"؛ إذ الأكثر على أنها في نعت جبريل عليه السلام فالمعلم المُلْقِي لا يلقي شيئاً إلا بعلمه، **وليس دوره دوراً آلياً في النقل، بل يعلمه من حيث الجملة والتفصيل، ويعلمه من حيث الأداء، وأصل اللفظ، كما يتسم بالحكمة التي بها يضع الأمور في مواضعها، ومن ذاك وقت تعليم الألفاظ ومكانه .**

فهذه صفات جبريل الخَلْقية والخُلُقية التي تمنحه القدرة الأمينة الدقيقة على تعليم ألفاظ القرآن في وقتها الذي أمر الله ﷻ به بأمانة ودقةٍ وحسن تأتٍ .

فإن اعترض معترض على الاستطراد في ذكر صفات الرسول الذي حمله وليس يرجع ذا إلى لب البحث؛ **فالجواب:** في ذلك من الحكم:

الثناء على الرسول المُلْقِي للقرآن، والمبلّغ له إلى الأرض **أولاً**، وفيه تنويه بالقرآن، وتأكيد لصدقه وعظمته من حيث عظمة من قام بتبليغه **ثانياً**، وفيه تأكيد على الصفات التي جعلت هذا الرسول المتحمل أهلاً لأدائه لفظاً وأداء **ثالثاً**، وفيه تحديد لحجم الاجتهاد البشري فيه من حيث حجم اجتهاد المَلَك فيه **رابعاً** ، وبيان لأصلية التوقيف في لفظه وفرعيته من حيث مؤهلات هذا الرسول المعنوية، وإمكاناته الحسية على نقل القرآن، ومتابعته بدقة؛ إذ منعه من إدخال اجتهاده مع عظيم مكانته من الله ﷻ ، منعٌ لغيره من ضَعَفَة المخلوقين من باب أولى، وهذا **خامساً**.

ولذا كان قسم الله ﷻ في سورة التكوير بقوله ﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ(١٥) الْجَوَارِي الْكُنَّسِ...**﴾ "التكوير/١٥..." لبيان صدق الوحي القرآني، وتمت هذه الغاية صدقاً

([1]) صحيح البخاري ١/٣٠٠، مرجع سابق .

وعدلاً بالثناء على طرفي الاتصال، والنقل القرآني بين السماء والأرض﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ...**﴾ "التكوير١٩-..."، فإجراء أوصاف الثناء على الرسول للتنويه به أيضاً، وللكناية على أن ما نزل به صدق؛ لأن كمال القائل يدل على صدق القول([1])، وانظر كيف زاد في ذكر صفات جبريل عليه السلام إذ هو خبر عما عنده سبحانه وهو غيب عنهم، فكثرة صفاته أدعى لطمأنتهم، ثم أخبرهم عمن عندهم بما يوفونه فلا يحتاج إلى مزيد كلام...**ومما** جاء **في** حواشي الكشاف تعليقاً على تأويل آيات التكوير: "إنما ذكر جبريل عليه السلام بتلك الصفات واقتصر على نفي الجنون عن النبي ﷺ لأن جبريل عليه السلام مجهول"([2]) أي عند البشر .

([1]) التحرير والتنوير ١٧٥/٣٠، مرجع سابق .

([2]) محمد عليان المزروقي الشافعي: حاشيته على الكشاف ٦٩١/٤، دار المعرفة – بيروت .

obeikandl.com

المبحث الثالث:

أمين الوحي في السماء لأهل السماء:

في هذا المبحث تتضح المكانة الخاصة لجبريل عليه السلام من ربه سبحانه وتعالى، بعد أن اتضحت المكانة العامة له من خلال المبحث السابق، إذ هو أمين الوحي الإلهي مطلقاً، وأول ذلك أنه أمين الوحي في السماء لأهل السماء، وتلك من أسباب جدارته الفائقة لأمانة الوحي النازل لأهل الأرض .

فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله إذا أراد أن يأمر بأمر تكلم به، فإذا تكلم به أخذت السماء رجفة، أو قال رعدة شديدة فإذا سمع بذلك أهل السماء، صعقوا فيخرون سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمر به جبريل عليه السلام على الملائكة، فكلما مر بسماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا ؟ . قال جبريل عليه السلام :قال ربكم الحق وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم كما قال جبريل عليه السلام فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمر من سماء وأرض)([1]) .

فجبريل عليه السلام هو أمين الوحي الإلهي سواء كان هذا الوحي **أرضياً**، وموضوع (تلقي النبي ﷺ) يشكل أنموذجه، أو **سماوياً** كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل

([1]) (الطبراني) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا، ت ٣٦٠ هـ: مسند الشاميين ١٩٨٤م – ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، مراجعة: حمدي بن عبد المجيد السلفي، وأصل هذا الحديث عند ابن حبان ١/٢٢٤، مرجع سابق، بلفظ: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل، فزع عن قلوبهم – قال – فيقولون: يا جبريل ! ماذا قال ربك ؟ فيقول: الحق . فيقولون: الحق الحق) .

في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)([1])، وقال ﷺ: (إن العبد ليلتمس مرضاة الله، ولا يزال بذلك فيقول الله ﷻ لجبريل: إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض)([2]).

وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: (إذا تكلم الله بالوحي يسمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة وقرأ ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...**﴾الآية)([3])، وقد وقع في بعض روايات حديث النواس ابن سمعان السابق ما نصه: (أخذت أهل السماوات منه رعدة خوفا من الله وخروا سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله بما أراد، فيمضي به على الملائكة، من سماء إلى سماء)، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن خزيمة وابن مردويه: (كمر السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل السماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم إلى آخر الآية، ثم يقول: يكون العام كذا، فيسمعه الجن ...)، وعند ابن مردويه من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم: (ما نزل جبريل بالوحي، فزع أهل السماء لاختطاطه، وسمعوا صوت الوحي، كأشد ما يكون من صوت الحديد على الصفا فيقولون: يا جبريل بما أمرت ...)([4])الحديث.

([1]) صحيح البخاري ٣/١١٧٥، مرجع سابق .

([2]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٢٧٩، مرجع سابق .

([3]) فتح الباري ٨/ ٧٢١، مرجع سابق، وقال: "وأصله عند أبي داود وغيره، وعلقه المصنف موقوفاً".

([4]) انظر هذه الروايات وغيرها: في فتح الباري ٨/٧٢١، مرجع سابق .

وقد لا يكون الوحي أمراً إلهياً لأحد من المخلوقين، بل هو حديث بين الجبار جل جلاله وبين جبريل عليه السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لما خلق الله الجنة، قال لجبريل: اذهب، فانظر إليها . فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب، وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها . فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب، وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد . -قال- فلما خلق الله النار، قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها . فذهب، فنظر إليها، ثم جاء . فقال: أي رب، وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها . فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب وعزتك، لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)([1]).

وقد أُريد من التفصيل السالف أن تُبَيَّن مكانة جبريل عليه السلام من الملك جل وعز، ويربط بين ذلك وبين قوله تعالى ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ "النجم/٥"، فيستبين جلالة تعليم لفظ القرآن، وأنه ليس مجرد لفظ يرمى من فم لفم، بل لو ادعى مدعٍ أن تلقي النبي ﷺ للفظ القرآن من جبريل عليه السلام اعتراه من التوقيف، ومنع الاجتهاد أكثر مما اعترى معناه لما بعد عن إصابة سهم فكره لعين الحقيقة، وذلك واضح من حيث أن عتاب الله عز وجل لنبيه في القرآن الكريم إنما هو لصواب في أمر غير ما ذهب إليه في فهم معنى معين، بخلاف اللفظ، فليس له فيه إلا ما لُقِّنَه، وقد حاول الاجتهاد في هيئة التلقي فمنع من ذلك([2]).

وما سبق من أدلة توصلنا إلى نتيجة على قدر جليل من الأهمية هي: أن جبريل عليه السلام هو الوسيط بين الله عز وجل وأنبيائه، وهو المبحث التالي:

([1]) صحيح ابن حبان ٤٠٦/١٦، مرجع سابق، والمستدرك ٧٩/١، مرجع سابق .

([2]) انظر: حديث المعالجة: الفصل الثالث -المبحث السادس .

المبحث الرابع:

اختيار جبريل عليه السلام ليكون الوسيط بين الله عز وجل ورسله: ويتفرع هذا المبحث إلى ثلاث جهات:

جهة من حيث عموم الرسالات السماوية، وجهة من حيث خصوص رسالة النبي ﷺ، وجهة من حيث خصوص الخصوص وهو كون جبريل عليه السلام هو مقرئ النبي ﷺ وتلك الجهات تُشكل ثلاثة مطالب للمبحث:

المطلب الأول: من حيث عموم الرسالات السماوية .

المطلب الثاني: من حيث خصوص رسالة النبي ﷺ .

المطلب الثالث: من حيث خصوص الخصوص وهو الإقراء .

المطلب الأول: من حيث عموم الرسالات السماوية:

ومن أدلتها غير ما تقدم قول الله تعالى: **﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** "النساء/ ١٦٣ "، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي: فقال له ورقة: (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى)([1]).

فقد قال البخاري في معناه :"الناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره"([2])، وقال ابن الأثير: "في حديث المَبْعَث([3]): (إنه لَيأْتيه النَّامُوس الأكبر) الناموسُ صاحبُ سرِّ المَلِك، وهو خاصُّه الذي يطلعه على ما يطويه من غيره من سرائره...وأراد

([1]) صحيح البخاري ٤/١ مرجع سابق .

([2]) صحيح البخاري ١٢٤١/٣، مرجع سابق .

([3]) يعني الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة عن أول بعثته وفيه: قال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى....

به جبريل عليه السلام؛ لأن الله تعالى خصَّه بالوحي والغيب اللذَّين لا يَطَّلِعُ عليهما غَيره"([1])، وقال شارح الطحاوية في قوله ﷻ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ "النجم/١٩٤" "هو جبرائيل عليه السلام، سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين"([2]) .

وأهمية هذه النتيجة في هذه الدراسة: كامنةٌ في: أن انفراد ملك واحد من عالم الغيب ليكون الوسيط بين الله ﷻ وبين نبيه ﷺ في نقل كلام الله ﷻ يزيل كل وسوسة يقذفها الشيطان في نفس الإنسان، تشكك في أنه يحتمل أن أحد الشياطين المتصورة في صورة معينة قد ألقى كلاماً على رسول الله ﷺ، وعده رسول الله ﷺ وحياً، وهو ما يدفع عاملاً خطيراً ومنطقياً من عوامل التشكيك في نقل كلام الله ﷻ، وقد أدرك الإمام السيوطي أهمية هذا المسألة، فألف رسالة بعنوان "لبس اليَلَب في الجواب عن إيراد أهل حلب"، قال: "لما وصل كتاب الأعلام إلى حلب -وقف عليه واقف فرأى فيه قولي أن جبريل عليه السلام **هو السفير** بين الله ﷻ وبين أنبيائه، لا يعرف ذلك لغيره، فكتب على الهامش، بل قد عرف ذلك لغيره من الملائكة، فأجاب فأجبت ...الخ"([3]).

المطلب الثاني: من حيث خصوص رسالة النبي ﷺ:

يكفي دليلاً في التصريح بأن جبريل عليه السلام هو الوسيط بين الله تعالى وبين نبيه ﷺ قوله ﷻ ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ "البقرة/٩٧"، وقوله ﷻ ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ**

([1]) النهاية في غريب الأثر ١١٩/٥، مرجع سابق .

([2]) شرح العقيدة الطحاوية ٣١٥، مرجع سابق .

([3]) (حاجي خليفة) مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ت ١٠٦٧هـ : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٥٤٧/٢، ١٩٩٢م - ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية – بيروت - .

الْقُوَى﴾ "النجم/٥"، **فإن ادُعي أن إطلاقها** قد يُخَصُّ بنزول جبريل عليه السلام بنوع من الوحي دون غيره، **اكتفي بالقول** رداً على ذلك: ذاك عارض يفتقر الدليل، فإن وُجِدَ، وإلا فهو عليل، فلا يُرتضى بمجرد التخمين، **ومن احتج بالعموم** للملائكة بقول النبي ﷺ (وأحياناً يتمثل لي الملك...)([1]) الحديث، **يُجاب عليه**: بأن أداة التعريف فيه للعهد لا للاستغراق، بقرينة التصريح بجبريل عليه السلام في رواية ابن سعد([2]). **وقد كان جبريل عليه السلام معلم الدين أصولاً وفروعاً**؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (هذا جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم) ثم ذكر مواقيت الصلاة([3])، ونحوه حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر ابن الخطاب عند البخاري ومسلم([4])، ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم([5]).

ومما يدل على قرب جبريل عليه السلام، ومتابعته، وكونه الواسطة التعليمية للنبي ﷺ:

ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟. فقال رسول الله ﷺ : (خبرني بهن آنفا جبريل عليه السلام) فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة...الحديث([6]).

([1]) انظر: تخريجه في الفصل الثاني-المبحث الثالث.

([2]) طبقات ابن سعد ١٩٧/١، مرجع سابق، وانظر فتح الباري ٤٤٢/١٢، مرجع سابق .

([3]) (البيهقي) أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (٣٨٤هـ -ت٤٥٨هـ): سنن البيهقي الكبرى، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ٠ .

([4]) رواه البخاري ١٥/١، مرجع سابق، ومسلم ٤/١، مرجع سابق .

([5]) رواه مسلم ٤٩/١، مرجع سابق .

([6]) صحيح البخاري ١٢١١/٣، مرجع سابق .

كما أن جبريل عليه السلام هو واسطة النبي ﷺ التعليمية الوحيدة إلى عالم الغيب: فلا يتعرف على العالم الغيبي إلا بواسطة جبريل عليه السلام.

ومن ذلك أن جبريل عليه السلام واسطته التعليمية إلى أهم عالمين غيبين يوازيان عالم البشر: عالم الملائكة، وعالم الجن:

فأما عالم الملائكة: فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال في حديث ذهابه إلى ثقيف: (فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)([1]).

ومن ذلك **تعرفه على ملائكة السماء** وخزنتها في حادثة الإسراء فقد كانت واسطته هي جبريل عليه السلام.

وأما عالم الجن: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ ليلة الجن وهو مع جبريل عليه السلام وأنا معه، فجعل النبي ﷺ يقرأ، وجعل العفريت يدنو، ويزداد قرباً، فقال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: (ألا أعلمك كلمات تقولهن فيكب العفريت لوجهه، وتطفىء شعلته؟ قل أعوذ بوجه الله الكريم، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر، ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. فكب العفريت لوجهه وانطفأت شعلته)([2]).

([1]) صحيح البخاري ٣/١١٨٠، مرجع سابق.

([2]) (النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت٣٠٣ هـ: السنن الكبرى ٦/٢٣٧ مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ١٤١١هـ-/١٩٩١م دار الكتب العلمية - بيروت، وقد جاء في رواية: (علمنيهن جبريل وزعم أن عفريتاً يكيدني).

ولهذا التفريع فائدة منهجية بديعة فيما نحن بصدد جمع شتاته، من حيث واقع وجود عالمين معروفين غير مرئيين من عوالم الغيب هما: عالم الملائكة، وعالم الجن، تتمثل في حمايته من أن يتطرق إليه الشك عندما يبلغه غير جبريل عليه السلام من الملائكة الوحي، فيلقي الشيطان أنه ليس ملكاً، وحمايته من الشياطين أن يفكروا بالتلبيس عليه([1]).

كما هو أيضاً واسطته إلى غيب خارج ذلك: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاني جبريل عليه السلام فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي)([2]).

وبناء على أن جبريل هو الوسيط بين الله ورسله: **فهل كانت هيئات الوحي إلى النبي ﷺ كما كانت إلى الأنبياء السابقين على ما يظهر من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** "النساء /١٦٣" ؟ والجواب: لا! فلا ريب في اشتراكهم في أصل الوحي، أما ما بعد ذلك فليس عندنا ما يشير إلى الهيئات التفصيلية لوحي الأنبياء السابقين حتى تتم المقارنة، ولا دليل في الآية على ترجيح أحد الأمرين إذ لو كانت تشبيهاً، فإن التشبيه لا يقتضي أن يكون المشَبَّه مساوياً للمشَبَّه به، وإن كانت إخباراً فهل المراد التفصيل أو القبيل، ولا دليل ثم على أحدهما، وما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وعلى ضوء هذا التقرير يفهم قول ابن حجر -رحمه الله تعالى- في شرح هذه الآية: "ولما كان في الآية أن الوحي إليه نظير الوحي إلى الأنبياء قبله ناسب تقدم ما يتعلق بها، وهو صفة الوحي، وصفة حامله إشارة إلى أن الوحي إلى الأنبياء لا تباين فيه"([3]).

([1]) ونقل القاضي عياض الإجماع على عصمته ﷺ في الشفاء ٢ /١٤١، ولكن ذلك إجماع يفتقر إلى المستند، فليكن ذا في طريق ذاك المستند.

([2]) المستدرك ٣/٧٧، مرجع سابق.

([3]) فتح الباري ١/٥، مرجع سابق.

وإنما أورد هذا الكلام هاهنا لئلا يُفترَض أن القرآن نزل كما نزلت التوراة وحياً مكتوباً، لم تحتج إلى تلقين استدلالاً بهذه الآية، فيجاب بما سبق، ويضاف إليه أن ليس ثم تفصيل عن الهيئة التي تم بها إيحاء التوراة بدقة إلا قوله ﷻ: ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ "الأعراف/١٤٥" وهي لا تنفي التلقين صراحة، على أنها تبين المقدار الكبير في التغاير بين إيحاء التوراة والقرآن من حيث أن التوراة كتبت لموسى عليه السلام كتابة و لم تتلقن تلقيناً، **والقرآن سمي قرآناً علماً عليه أشهر من اسم كتاب مع كونه الاسم الثاني له في الشهرة ، دلالة على اجتماع القراءة والكتابة في الحفاظ على القرآن الكريم، لكن التلقين يسبق الكتابة عند ذكر أساليب تعلم القرآن الكريم كما يسبق اسم (القرآن) اسم (الكتاب)، وهو الجاري عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.**

وجماع القول أن جبريل عليه السلام قد بلغ أخص مبلغ في مكانته عند الله ﷻ من بين الملائكة، ولذا أسند إليه تعليم النبي ﷺ لفظ القرآن، فصار كل ما سبق خادماً لنقل القرآن الكريم .

المطلب الثالث: من حيث خصوص الخصوص: أي من حيث كون جبريل عليه السلام هو المقرئ الوحيد للنبي ﷺ من الملائكة، فإن أبا حيان يُعَرِّفُ جبريل عليه السلام فيقول: "جبريل اسم ملك علم له، وهو الذي نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ ، وهو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة"([1]).

وجبريل عليه السلام هو المقرئ له صراحة: فعن ابن عباس رضي الله عنه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: (أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)([2]).

([1]) البحر المحيط ٣١٦/١، مرجع سابق .

([2]) صحيح البخاري ١٩٠٩/٤، مرجع سابق .

ولأنه الملقي للنبي ﷺ ألفاظ لقرآن الكريم: فقد باتت مسألة التلقي منه مصدر مرجعي بدهي في أوساط الأمة: يُرْجَعُ إلى طرقها عند الاختلاف، ويُحْتَجُ بثبوت النقل عنها عند التعليم، فعن الأعمش قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول وهو يخطب على المنبر: ألفوا القرآن كما ألفه جبريل عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة، والسورة التي تذكر فيها النساء، والسورة التي يذكر فيها آل عمران، قال: فلقيت إبراهيم(١)، فأخبرته بقوله، فسبه، ثم قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع عبد الله بن مسعود، فأتى جمرة العقبة، فاستبطن الوادي، فاستعرضها، فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن الناس يرمونها من فوقها، فقال: هذا - والذي لا إله غيره - مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة(٢).

و**(التأليف) في قول الحجاج:** هل هو الترتيب كما هو أصل معنى الكلمة، أم أنه تسمية السور كما يظهر من السياق ؟ وعلى كلٍ فإن كان هذا في محله، أو في تسمية سوره، فكيف في وضعه وهيئات نطقه ؟ والشاهد واضح من الإسناد إلى جبريل عليه السلام.

فإن اعترض معترض بآيتي خاتمة البقرة؛ إذ أنزلهما ملك غير جبريل عليه السلام ؟فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: (هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)(٣).

فالجواب: إما أن يكون أنزلهما بعد نزولهما، أي تكرر النزول للاهتمام أو لأمر آخر، **وإما أن النزول كان للفضل** لا للإنزال ذاته، ويدل لهذا أنه لا مراء في نزول الفاتحة قبل

---

(١) يعني: إبراهيم النخعي .

(٢) رواه مسلم ٢/٩٤٢، مرجع سابق .

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٥/ ١٢، مرجع سابق .

ذلك في مكة، وواضح أن الحادثة في المدينة إذ قد صرح متتبعوا النـزول بأن نزول البقـرة كان في المدينة([1]) .

ووجه ثالث هو أن الواسطة بين الملك والرسول ﷺ كان جبريل عليه السلام فيرجع الوحـي هنا إليه، كحادثة الإسراء، وهذا الوجه يتعدى هذه الحادثة إلى كل حادثة جاء فيها ملـك آخر مع جبريل عليه السلام كحديث طوفانه ﷺ في ليلة على بعض المعذبين من أمته([2]).

عداوة جبريل عليه السلام مقياس مطلق لعداوة الله -تعالى ذكره-:

ولما سبق كان التشديد، والإفزاع الأكيد للعقل والعاطفة من مجـرد التفكـير في الكلام على جبريل عليه السلام، أو عدائه؛ إذ صار مقياساً مطلقاً لعداوة الله ورسله وملائكتـه، ولذا كان قوله ﷻ ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّـهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ "البقرة/٩٨" عقب قوله ﷻ ﴿**مَنْ كَـانَ عَـدُوًّا لِجِـبْرِيلَ**﴾ "البقـرة/٩٧"، فعداوتهم لله ﷻ بمنـزلة المقدمة الكبرى؛ لأنها العلة في المعنى عنـد التـأمل، وعداوتهـم لرسوله جبريل عليه السلام بمنـزلة المقدمة الصغرى لأنها السبب الجزئي المثبت([3]).

وقوله تعالى ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ**﴾ لا يظهر فيها أن قوله ﴿**نَزَّلَـهُ عَلَـى قَلْبِكَ**﴾ جواب الشرط، لما تقرر في علم العربية أن اسم الشـرط لا بـد أن يكـون في الجواب ضمير يعود عليه، وقوله ﴿**نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ**﴾ ليس فيه ضمير يعود على مـن، وقد صرح بأنه جزاء للشرط الزمخشري وهو خطأ لما ذكرناه من عدم عود الضمير، ولمعنى فعل التنـزيل، فلا يصح أن تكون الجملة جزاء، وإنما الجزاء محذوف لدلالة ما بعده عليـه،

([1]) انظر: الإتقان ٢٠/١، مرجع سابق، إتقان البرهان في علوم القرآن ٣٧٨/١، مرجع سابق .

([2]) رواه البخاري ٣١٢٢/٦، مرجع سابق، ونحو ما رواه البخاري في صحيحه ١١٨٢/٣ عن سمرة قال: قال النـبي ﷺ: (رأيت الليلة رجلين أتياني ...قالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل وهذا ميكائيل) . وظـاهر أن المُعَرَّفَ هو جبريل عليه السلام .

([3]) انظر: التحرير والتنوير ٦٢٣/١، مرجع سابق .

والتقدير: فعداوته لا وجه لها، أو ما أشبه([1])، كذا قال أبو حيان -رحمه الله تعالى-، ولو كان التقدير: فهو عدو لله أو فهو كافر بالوحي... لكان أظهر، وأولى، وأنسب لقوله ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ**﴾ فأشار بأن إنزال الله جبريل عليه السلام بالقرآن قامعٌ لكل من تسول له نفسه عداوة جبريل عليه السلام . وقد صرح أبو حيان بتقديرين قريبين من هذا -بعد-، وهو إنما أورد أولاً عين ما قاله الزمخشري في التقدير([2])، وقال الآلوسي: ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ**﴾: "جواب الشرط إما نيابة، أو حقيقة، والمعنى من عاداه منكم فقد خلع ربقة الإنصاف، أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحي"([3]). **وموضع الاستشهاد من هذا الإيراد** ربط جبريل عليه السلام بإنزال القرآن الكريم([4])، وقد ذكر عبارة﴿**عَلَى قَلْبِكَ**﴾، وهو ينصرف انصرافاً أولياً للقرآن الكريم، وجعل هذا كله خادماً للاطمئنان على نقل القرآن، وإيصال كلام الله إلى الأرض، وهو زاجر بالإشارة، وبصريح العبارة عن الطعن فيه بعد ذلك أيضاً .

إنه جبريل عليه السلام...إنه القرآن الكريم... إنه رسول الله الأمين ﷺ...فأين أنت ياحافظ الذكر المبين؟ ...:

أيها الشادي بقرآن كريم! .....وهو في ركن من البيت مقيم
قم! وأبلغ نوره للعالمين .....قم! وأسمعه البرايا أجمعين
من له من ثروة الهادي نصيب .....فهو من جبريل في الدنيا قريب

([1]) انظر:البحر المحيط ٣١٩/١، مرجع سابق .

([2]) الكشاف ٨٤/١، مرجع سابق، وكذا فعل الشوكاني في فتح القدير ١٥٠/١، مرجع سابق .

([3]) روح المعاني ٢٢٠/١، مرجع سابق .

([4]) إذ إن الضمير المنصوب في ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ**﴾ عائد للقرآن: إما لأنه تقدم في قوله ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ "البقرة /٩١ "، وإما لأن الفعل لا يصلح إلا له هنا على حد ﴿**... حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾"ص/٣٢ "﴿ **فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ**﴾ " الواقعة /٨٣"، انظر: التحرير والتنوير ٦٢١/١، مرجع سابق، وإليه ذهب الكشاف ٨٤/١، مرجع سابق، وقال: " إضماره فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته... " .